الزوجة الصالحة
خير متاع الدنيا

أ.د. عبد الله البريعي عبد الرحمن

سلسلة إصدارات مركز المودة لتدريب الاستقرار الأسري

بسم الله الرحمن الرحيم

الزوجــة الصالحة
خيرُ متاعِ الدُّنيا

تأليف

ا.د. عبد الله الزبير عبد الرحمن

أصل هذا الكتاب: محاضرة قدّمت لحشد نسائي في حلقات الحميراء بحي البنك العقاري بمدينة أم درمان السودان
في ١٩ المحرّم ١٤٣٦ هـ - ١٣ نوفمبر ٢٠١٤م

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

مُقدِّمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فبنعمته تتم الصالحات، وبكرمه تنهال على العبد البركات. فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الثناء الحسن.

والصلاة والسلام على من ابتعثه ربه رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذه رسالة أوجهها - عموماً - إلى كل مسلمة تتطلع إلى مراقي الجنان في الآخرة، تسعى إليها وهي مؤمنة، وترجو أنْ تكون سفيرة المسلمين والمسلمات في كل موطن وموضع تكون فيه، زوجةً، أو أمَّاً، أو أختاً، أو عمّة، أو خالة، أو عاملة، أو ربة بيت..

وأوجهها - على وجه الخصوص - إلى كل زوجة مسلمة، تبتغي الجمع الحميد بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، وترجو أن تكون مفتاح خيرٍ وبرٍّ وصلاح لمن شاركها الحياة، الذي اختارها من دون نساء العالمين لتكون له

زوجة حبيبة لقلبه وسكناً لنفسه، ومتاعاً لعمره، ثم أمّاً لولده، لتبذل كل ما عندها من أسباب وفنون لإسعاده، ولبناء بيت الزوجية على تقوى من الله ورضوان، وتؤسسه على الرحمة والحنان والحب والأمان، وتقيمه على السكن والمودّة، وتديره بقواعد الرضا لزوجها، فينشأ الأولاد على الاستقرار النفسي والاستقامة الخُلقية، حاملين هموم الأمة، متبنين لها بهمّة عَليّة، فتسعد الأمة بهم وتُحفظ الملّة بجهدهم.

ولقد استقيت مادة هذه الرسالة - أولاً - من واقع حال زوجاتي، ولم تكن مادة نظرية بحتة جمعت من بطون الكتب، بل كان أهم مصادرها أحوالهن معي وأوصافهن وسلوكهن، ثم ما يبذلن من جهد أقدّره وأُكْبره لا لإدخال السعادة بل لإبقاء السعادة في بيتنا، فقد دخلت السعادة فيه يوم دخولهن فيه، وجزاؤهنّ على المولى الكريم ﷻ الذي وهب الصلاح وساق السعادة بهنّ.

وأصل هذه الرسالة محاضرة عامة قدمتها لحشد نسائي بدعوة كريمة من حلقات الحميراء بمدينة أمدرمان غربي الخرطوم، فطلب مادتها مركز المودة لنشرها تعميماً للفائدة.

والله تعالى أسأله أن يمنّ علينا جميعاً بسعادة الحياة الزوجية وصلاح الذرية، وأنْ يحقّق لكل زوج مسلم صالح وَعْدَ الرب الكريم لنبيّه الكريم زكريا عليه السلام: (**وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ**) [الأنبياء: ٩٠].

اللهمّ اجعل عملنا كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أ.د. عبد الله الزبير عبد الرحمن

الفيحاء شرق النيل

غرة رجب ١٤٣٦هـ ٢٠ أبريل ٢٠١٥م

مداخلُ ذاتُ بهجة

الزواج: عشرة وأسرة.. حقوق وواجبات.. تعامل وتعاون..

عشرة تقوم على الطلب والرغبة ثم تدوم أسرة على الرعاية والعناية من كل طرف للآخر، الزوج بالزوجة، والزوجة بالزوج، والآباء بالأولاد والأولاد بالآباء..

والزواج حقوق وواجبات، حقوقٌ واجبةٌ على الزوج، وحقوقٌ واجبةٌ على الزوجة، والواجبات حقوقٌ للآخر والحقوق واجباتٌ على الآخر، كلٌّ يبادر بحق الآخر، وكلٌّ يسارع بواجبه تجاه الآخر، وهو قول الله تعالى **(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)** [البقرة: ٢٢٨]. فهو إذنْ معاشرة بالمعروف، كما أمر الشارع الحكيم الرؤوف الرحيم فقال: (**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**) [النساء: ١٩].

والزواج تعامل وتعاون، لا يكون ولا يدوم إلا بحميم المعاملة بين الزوجين، ولا يبقى إلا بصدق التعاون على برّ الزوجية وتقواها..

فالزواج عقد معاشرة بين طرفين، كلٌّ واحدٍ منهما مطلبُه ومقصودُه أن يَسعَد ويُسعِد بزواجه..

والزواج: زفاف إلى العفاف..

زفَّكَ أهلك وعشيرتك وأصدقاؤك وأصهارك إليها أيها الزوج العزيز لتعُفَّها ، وإنما زفّكِ الأهلُ والأصهارُ والعشيرةُ والجارات والصديقات أيتها العروس لتعفَّ زوجك، فإنَّ أعظم مقصود الزواج الشرعي تحقيق العفاف في الناس ليتعافى المجتمع وتحفظ الأعراض وتحصَّن الفروج، فإن المراد بالنكاحِ في قوله تعالى (**وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ**) [النور : ٣٢] هو العفاف، والصالِحُ في الآية هو الذي يتعفَّفُ، كما في تفسير الطبراني. ومن الثلاثة الذين على الله عونُهم: «النَّاكحُ يريد العفاف» فيما رواه أحمد والترمذي. والاستعفاف هو الصبر على لأواء العزوبة في السعي للزواج حتى يتمّ العفاف بالزواج ويكتمل، وذلك قوله تعالى **(وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)** [النور:٣٣].

﴿ فالزواج زفافٌ إلى العفاف ﴾

والزواج:

- واحة تجد النفس والروح والقلب والجسد فيها كل راحة..
- ومرتع يرتع فيها الأزواج بما هو أمتع..

- وساحة يسرح فيها العروسان بلذات جلها مباحة..
- وميدان يتسابق فيه الوفاء والصدق والإخلاص..
- وشركة مؤسسة على السكن والمودة والرحمة..

ولكن! قد تتخلل ذلك حيناً بعد حين آهة أو أنَّة، أو آهات وأنَّات، وقد تزيد، فتغلب، فتنقلب: الساحة سجناً، والمرتع مهرباً، والواحة مناحة!!. وهكذا..

فالزواج إذنْ: مَحَنَّةٌ أو مِحْنة.. سعادةٌ أو شقاء.. رَغَدٌ أو نكد..

ولعل السبب الأول والأساس في نكد الحياة الزوجية أو رغد الحياة الزوجية: "المرأة"!! فالرسول ﷺ يقول: (الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة)[1].. فسعادة الحياة الزوجية بالزوجة الصالحة، وشقاء الحياة الزوجية بالزوجة السوء، وفي مستدرك الحاكم ومعاجم الطبراني: يقول النبي ﷺ: (إنَّ من السعادة: الزوجةَ الصالحة، والمركب الصالح، والمسكن الصالح، وإنَّ من الشقاء: الزوجةَ السوء، والمركب السوء، والمسكن السوء)[2]. وعند

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٤٦٧، والنسائي في سننه برقم ٣٢٣٢، وابن ماجه في سننه رقم ١٨٥٥، وأحمد في مسنده برقم ٦٥٦٧، وابن حبان في صحيحه برقم ٤٠٣١.

(٢) الطبراني في المعجم الكبير برقم٣٣٣، وفي الأوسط برقم٣٦١٠، والطيالسي في المسند برقم٢٠٧، وابن حبان في صحيحه برقم٤٠٣١ وعنده: أربع من السعادة. بزيادة: الجار الصالح.

الحاكم بلفظ آخر: (ثلاث من السعادة، وثلاث من الشقاوة، فمن السعادة: المرأة تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدَّابة تكون وطية فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق. ومن الشقاوة: المرأة تراها فتسوءك و تحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركبها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق)[1].

فالزوجة إمّا صالحة، وإمّا سوء غير صالحة، فمن هي الزوجة الصالحة؟ وكيف يكون صلاحها؟ وما مقامها عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين؟.

من هي الزوجة الصالحة:

الزوجة الصالحة هي الموصوفة بالصلاح، والصلاح هو معرفة الحقوق وأداؤها، فالصالح من العباد هو الذي عرف حق الله فأدّاه، وعرف حق الغير فوفّاه.

قد يكون المسلم عابداً ومع ذلك يكون غير صالح، ولو كان تالياً للقرآن، ولو كان يقوم الليل أو يصوم النهار، مهما عَبَدَ الله!! مهما صام وصلّى وحجّ وزكّى؛ لو

(١) مستدرك الحاكم برقم٢٦٨٤.

لم يؤد حقَّ من له حقٌّ عليه ؛ لا يكون صالحاً.

امرأة عابدة لا زوجة صالحة:

قال أبو عبد الله محمد بن شجاع الصوفي: "كنت بمصر أيام سياحتي فتاقت نفسي إلى النساء فذكرت ذلك لبعض إخواني فقال لي: هاهنا امرأة لها بنت جميلة، قال: فخطبتها وتزوجتها، فلما دخلت عليها وجدتها مستقبلة القبلة تصلي، قال: فاستحييت أن تكون صبية في مثل سنها تصلي وأنا لا أصلي. فاستقبلت القبلة وصليت ما قدر لي حتى غلبتني عيني، فنامت في مصلاها، ونمت في مصلاي. فلما كان في اليوم الثاني كان مثل ذلك أيضاً، فلما طال علي قلت لها يا هذه: ألاجتماعنا معنى؟. فقالت لي: "أنا في خدمة مولاي، ومن له حقٌّ فما أمنعه". قال: فاستحييت من كلامها وتماديت على أمري نحو الشهر، ثم بدا لي في السفر فقلت لها يا هذه: قالت: لبيك. قلت: إني قد أردت السفر. فقالت: مصاحباً بالعافية. قال: فقمت فلما صرت عند الباب قامت فقالت: " يا سيدي! كان بيننا في الدنيا عهدٌ لم يقض بتمامه عسى في الجنة إن شاء الله". فقلت لها: عسى، فقالت: استودعك الله خير مستودعٍ. قال:

فتودعت منها وخرجت، رحمها الله[1].

فهذه المرأة عابدةٌ كامرأة، لكنها كزوجة ليست زوجة صالحة، لأنها وإنْ عرفت حق الله وأدته، ما عرفت حق زوجها وما أدَّت، ما أحسنت لزوجها التبعّل، بل انصرفت عنه بالصلاة والقيام، وحقّه أنْ تتنزين له وتتعرض له وترغّبه في نفسها..

إذنْ قد تكون المرأة عابدة قوامة صوامة، ثم لا تكون زوجة صالحة، لأنها ما أدت حق زوجها كما يجب.

فالزوجة إذنْ إما صالحة وإما زوجةٌ سوءٌ غير صالحة، ولهذا جاز لنا أنْ نقول: حروفها تدلّ كل زوجة كيف تكون صالحة!.. إنها الحروف الأربعة المكونة للفظة المحبوبة لكل زوج ﴿ الزوجة ﴾

❁فالزاي: زهرةٌ يانعةٌ لا تَزْبُل

❁والواو: وفاءٌ مع طول العشرة لا يَقِل

❁والجيم: جمالٌ تتعهّده بالتَّجَمُّل

❁والتاء: تقوى تسوقها دوماً لرضا البَعْل

(١) صفة الصفوة، لابن الجوزي، ج٤ ص ٣٣٣، وكتاب الصلة، لأبي القاسم خلف بن بشكوال، ج١ ص ١٩٤، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، أبو عبد الله بن فتوح الحميدي، ج١ ص ٢٢.

الزوجة الصالحة هي التي تقوم بحق ربِّها في الطاعة، وبحق زوجها في العُشرة زينةً، ووفاء، وجمالاً، وتقوى، وكما قال ﷺ:(إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها؛ قيل لها: ادخلي من أيِّ أبواب الجنة شئت)[1].

مقام الزوجة الصالحة في القرآن:

أمَّا مقامها عند الله في القرآن: ففي أربع آيات بينات:

الأولى: قوله تعالى:(**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**) [النساء:٣٤]. فصفات الزوجات الصالحات، أنهن: قانتات، حافظات للغيب بما حفظ الله. ومعنى قانتات: مطيعات لله تعالى، مطيعات لأزواجهن قائمات بحقوقهم. ومعنى حافظات للغيب: ما رأت من حسنة نشرتها، وما رأت من سيئة سترتها. وأن تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله.

والثانية: قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**)[الفرقان:٧٤]. قال داود عليه السلام:

(١) أخرجه أحمد برقم ١٦٦١، وابن حبان برقم ٤١٦٣، والبزار برقم ٧٤٨٠، ٧٤٨٠، والطبراني في الكبير برقم٩٩١، وصحح شعيب الأرناؤوط إسناد ابن حبان. وحسن إسناد أحمد لغيره.

(مَثَل المرأة الصالحة لبعلها كالملك المتوج بالتاج المخوّص بالذهب، كلما رآها قرّت بها عينه، ومَثَل المرأة السوء لبعلها كالحِمل الثقيل على ظهر الشيخ الضعيف)[1].

والثالثة: قوله تعالى: (**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**) [البقرة:٢٠١].

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:"حسنة الدنيا المرأة الصالحة، وحسنة الآخرة الحور، وعذاب النار المرأة السوء"، وقال محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه: "حسنة المؤمن في الدنيا: المرأة الصالحة"[2].

والرابعة: قوله تعالى في زوجة زكريا عليه السلام: (**وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**) [الأنبياء : ٩٠]، قال بعض المفسرين: "أصلحها له بأن رزقها حُسن الخُلُق"[3].

(١) شعب الإيمان للبيهقي برقم ١٠٥٣٨.فيض القدير للمناوي ج٣ ص ٦٤٢.

(٢) تفسير أبي السعود ج١ ص ٢٦٦. الدر المنثور للسيوطيج٢ ص ٤٥٣.

(٣) تفسير البغوي ج٥ ص ٣٥٣. وزاد المسير لابن الجوزي، ج٤ ص ٣٥٩من كلام محمد بن كعب وعطاء والسدي.

مقامها عند رسول الله ﷺ:

وأمّا مقامها عند رسول الله ﷺ، فيظهر مما أخبر وحدَّث ووصف عليه الصلاة والسلام الزوجة الصالحة، ومن ذلك:

[١] حديث أبي أمامة رضي الله عنه وفيه يقول النبي ﷺ: (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة: إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرّته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله)[(١)].

[٢] وفي الصحيح قال النبي ﷺ: (الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة)[(٢)].

[٣] وقال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه :(يامعاذ! قلب شاكر ولسان ذاكر وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك و دينك خير ما أكثر الناس)[(٣)].

[٤] والرسول ﷺ يقول لعمر رضي الله عنه: (ألا أخبرك بخير ما يكنز الرجل؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا

(١) أخرجه ابن ماجة برقم ١٨٥٧، والطبراني في المعجم الكبير برقم ٧٨٨١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ١٤٦٧.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٤٤٣٠.

أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته)[1].

[٥] وعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ أي النساء خير؟ قال: (التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره، المرأة الصالحة)[2].

[٦] وفي حديث أنس ﷺ يقول النبي ﷺ: (من رزقه الله امرأة صالحة؛ فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في شطره الثاني)[3].

[٧] وقال رسول الله ﷺ: (ما فائدة أفادها الله على امرئ مسلم خير له من زوجة صالحة إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وإن أمرها أطاعته تنكح المرأة لأربع لدينها وجمالها ومالها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك)[4].

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج٤ ص ٨٣، والحاكم برقم ١٤٨٧، وبرقم ٣٢٨١. وصححه الحاكم.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى برقم٥٣٤٣، والحاكم برقم٢٦٨٢وأحمد برقم ٧٤١٥ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي على شرط مسلم، وقوى شعيب الأرناؤوط إسناد أحمد.

(٣) أخرجه الحاكم برقم٢٦٨١، والبيهقي في شعب الإيمانبرقم٥٤٨٧، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف برقم ٢٠٦٠٥.

مقامها عند العلماء:

ولمعرفة مقام الزوجة الصالحة عند العلماء فلنسمع إليهم:

❁ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ما استفاد رجل بعد إيمان بالله خيراً من امرأة حسنة الخُلُق ودود ولود، وما استفاد رجل بعد الكفر شراً من امرأة سيئة الخلق حديدة اللسان". قال: إنَّ منهن عُتماً يُحذى منه، وإنَّ منهن غُلاً يفدى منه"[1].

❁ وكان مسلم بن يسار رضي الله عنه يقول:"ما غبطت أحداً بشيء من الدنيا إلا جار صالح و مسكن واسع أو زوجة صالحة" [2].

❁ وقال أبو العباس القرطبي رحمه الله: "المرأة الصالحة هي الصالحة في نفسها وفي دينها، المصلحة حال زوجها" [3].

❁ وقال أبو الشيخ الأصبهاني رحمه الله: "خير القرناء

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص ٨٢.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٩٥٥٩.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي، ج١٣ص٦٥.

في المكسبة المرأة الصالحة"[1].

ومما قيل في ذلك:

سعادة المرء في خَمْسٍ إذا اجتمعت
صلاح جيرانه والبِرُّ في ولده
وزوجةٌ حسنت أخلاقها وكذا
خِلٌّ وَفِيٌّ ورِزقُ المرءِ في بلده

من أوصاف الزوجة الصالحة:

إنّ الزوجة لا تكون صالحة يسعد بها زوجها وأولادها حتى تجتمع فيها صفاتٌ حميدة، وأحوال خَيِّرة، وأوصافٌ يُحكم بها عليها أنها صالحة وإلاّ لن تكون المرأة زوجة صالحة؟ فما هي أوصافها التي بها تكون صالحة؟!.

نبيّه فيما يلي إلى أهم الأوصاف التي تجتمع في الزوجة الصالحة، وهي:

[١] القَنُوع لا الهَلُوع:

أولى صفات الزوجة الصالحة أنها قنوعٌ لا تطلب أبداً وراء حاجتها مطلباً يرهق زوجها، وإنْ ضاق بها الزرق قنعت بما عندها وصبرت على لأواء الفقر وما جزعت أو هلعت، ولا تحمل زوجها فوق طاقته بل تراها تهوِّن عليه أمره

---

(١) أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني ص ١٦٥.

وتذكّره بكرم ربه وتريه أنها راضية به وبقربه.

هذا كله لأنها صالحة وهذا دأب الصالحين والصالحات، لأنهم قنعوا بعطاء الله ورزقه وقسمه؛ فهم بالله وبما عند الله أغنياء، وإلى الله فقراء، فقنعت نفوسهم وطابت، فبعدت قلوبهم عن الهلع والجزع بالقلة أو الكثرة، فما بسط الله ورزق أطيب، وما قبض الله أرضى وأحبّ، ففي ماذا الضجر؟! وعلى ماذا الهلع والجزع؟!.

هذا حال المؤمنين الصالحين، ودأب الصالحات القانعات بما رزق الله. لا يطلبن وراء الحاجة، ولا يتطلعن وراء الحلال، وتلك ذات الدين التي حثّ عليها خير النبيين ﷺ فقال لباحث الزوجة الصالحة: (فاظفر بذات الدين تربت يداك)[1].

قال الماوردي رحمه الله: "هو الدين المفضي إلى الستر والعفاف، المؤدي إلى القناعة والكفاف"[2].

وكانت عادة نساء السلف الصالحات، كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته: "إياك وكسب الحرام! فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار".

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما، البخاري برقم ٤٨٠٢، ومسلم برقم ١٤٦٦.

(٢) أدب الدنيا والدين، ص ١٩٥.

وهمّ رجل من السلف بالسفر، فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته: لم ترضين بسفره؛ ولم يدع لك نفقة؟. فقالت: "زوجي منذ عرفته عرفته أكَّالاً وما عرفته رزَّاقاً، ولي رب رزّاقٌ، يذهب الأكّال ويبقَى الرزّاق"[1].

ولهذا؛ ومن باب نصيحة المسلم لأخيه المسلم؛ لما خطبَ رجلٌ من عبد اللَّهِ بنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما يتيمةً كانت عنده، قال له ابن عباس: لا أَرْضَاهَا لَك . قال: وَلِمَ وَفِي دَارِك نَشَأَتْ ؟ قال: إنَّها تَتَشَرَّف. قَالَ: لا أُبالي. فقال ابن عباس: الآن لا أرضاك لها". لأنه سيضيّعها أو يؤذيها، وكان يخشى عليه شرّ تشرّفها وتطلعها كثيراً. وفِي هذا المعنى قولُ العلماء: "مَنْ رَضِيَ بِصُحْبَةِ مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ؛ لَمْ يَرْضَ بِصُحْبَتِهِ مَنْ فِيهِ خَيْرٌ "[2].

كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبر على باب منزله فتكبر امرأته فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته فإذا بلغ إلى باب بيته كبر فتجيبه امرأته فانصرف ذات ليلة فكبر عند باب داره فلم يجبه أحد فلما كان في الصحن كبر فلم يجبه أحد فلما

(١) راجعها في: إحياء علوم الدين، للغزالي، ج٢ ص٥٨.

(٢) أدب الدنيا والدين نفسه.

كان في باب بيته كبر فلم يجبه أحد و كان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه و نعليه ثم أتته بطعامه قال فدخل فإذا البيت ليس فيه سراج و إذا امرأته جالسة في البيت منكسة تنكت بعود معها فقال لها مالك قالت أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخدمنا وأعطاك فقال اللهم من أفسد على امرأتي فأعم بصرها قال وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت لها زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عشتم قال فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها فقالت ما لسراجكم طفىء قالوا لا فعرفت ذنبها فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز و جل لها أن يرد عليها بصرها قال فرحمها أبو مسلم فدعا الله لها فرد عليها بصرها[1].

فها هي امرأة أبي مسلم الخولاني رحمهما الله، كانت ذات قناعة وكفاف، راضية بما قسم الله لها ولزوجها من الرزق الحلال الطيب، حتى دخلت عليها جارة السوء فغيّرتها من القناعة إلى الجزع ومن الرضا بالكفاف إلى التطلع للدنيا وما فيها من كل زائل فانٍ، فخَرِبَ البيتُ

(١) حلية الأولياء، ج٢ ص ١٢٩–١٣٠، صفة الصفوة، ج٤ ص٢١١- ٢١٢.

المؤسس على الرضا والقناعة مما آذى ذلك التابعي الصالح أبا مسلم الخولاني رحمة الله تعالى عليه.

فالزوجة القنوع تعيش في سعادة وتجعل زوجها سعيداً بقناعتها ورضاها بحالها غير متطلعة لما في أيدي الناس ولما ترى عند النساء، وهذا من أظهر صفات الزوجة الصالحة فإنها هي تلك التي ترضى بحالها ولا تضجر، وتقنع بما قسم الله لها ولا تهلع، ولا بضيق عيش تجزع ولا تشكو.

[٢] الشاكرة لصنائعه المعترفة بجمائله:

إنّ طبيعة النساء غالبة في أكثرهن، ولذلك يسارعن فيكفرن العشير وينكرن الجميل، ولا يعترفن لزوج جمائله ولا يشكرن له صنائعه، ولهذا جاء نداء الشفقة من الرؤوف الرحيم ﷺ لهن:(يا معشر النساء! تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار!). قلن: فبم يا رسول الله؟! قال: (تُكثرن اللعن وتَكفرن العشير). قلن: وما كفرانه؟ قال: (لو أحسن إلى إحداكن الدهر ثم رأت منه شيئاً؛ قالت: ما رأيت منك خيراً قط)[1].

وهذا خُلُقٌ غير محمود من مسلم أو مسلمة ، وربما

(١) أخرجه البخاري برقم، ٢٩، و١٠٠٤، ومسلم برقم ٩٠٧، وغيرهما في السنن وغيرها.

كان هذا التسخّط من الزوج ونسيان جمائله وكفران عشيره وعدم شكران صنائعه؛ مما يجلب سخط الله وغضبه عليها،وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول النبي ﷺ: (لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى امْرَأَةٍ لاَ تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا وَهِيَ لاَ تَسْتَغْنِي عَنْهُ)[1].

فإنها مهما قدّم لها زوجها، ومهما لبَّى طلبها، ومهما أكرمها، ومهما أحسن إليها، ومهما بالغ في كل ذلك؛ بأقلّ بادرة، وبأدنى هفوة أو إساءة أوغلطة، وعند أول غضبة منها عليه؛ أزالت من على قلبها وذهنها ونفسها كل ذلك الإكرام والإحسان والحبّ، وذلك هو كفران العشير.

فانظر ـ على سبيل المثال ـ **الرميكية** زوجة المعتمد بن عباد أمير الأندلس، كانت جارية من جواريه، فأحبها فجعلها حظيةً ثم اختارها لنفسه، وقد هجاها ابن عمار ببيتين:

تخيَّرْتَها مِن بنـــات الهجـان

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم ٢٧٧١، والبيهقي في الكبرى برقم ١٤٤٩٧، والنسائي في السنن برقم ٩١٣٥، والبزار في مسنده برقم ٢٣٤٩، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

رميكيــةً لا تساوي عقالا

فجاءت بكل قصير الذراع

لئيم النجادين عَمَّـاً وخَـالا

ومـع ذلـك؛ لمـا رأت يومـاً النّـاس يمشـون في الطـين، فاشتهت المشي في الطين، أمر المعتمد أن يُصنع لها الطين، ومـن مـاذا؟ مـن المسـك والزعفـران والطيـب ومـاء الـورد، مبالغـة في إرضـائها، وإدخـال السـرور في قلبهـا، وتحقيـق رغبتها، وبأمر المعتمد طُحن لها الطيب والزعفران والمسكٌ وغـير ذلـك، وعجـن ذلـك كلـه بمـاء الـورد حتـى صـارت كـالطين بـل صـارت طينـاً مـن المسـك والطيـب والزعفـران وماء الورد!!!، ثم جُعل في فناء قصرها، فخاضتها ولعبت فيها مع وصيفاتها وجواريها، أكرمها غاية الإكرام، ثم غضبت يومـاً مـن المعتمـد، فأقسـمت أنهـا لم تَـرَ منـه خـيراً قـط، فقـال لهـا المعتمـد: "ولا يـوم الطـين؟" فاسـتحت مـن نفسها.

ولكـن الزوجـة الصـالحة غـير هـذه وتلـك، الزوجـة الصـالحة في خلقهـا طـاهرة، ولأيـادي زوجهـا شـاكرة، وبالخير عنه ذاكـرة، وفي كـل مجلس ومحفل وفرصة بـه مفاخرة.

هذه الزوجة الصالحة التي أرضت زوجها فرضي عنها، جزاؤها عند الله عظيم، وفضلها كبير، وما ينتظرها من الخير والثواب والنعيم كثير، ففي حديث أنس بن مالك ﷺ أن سلامة حاضنة إبراهيم بن النبي ﷺ قالت: يا رسول الله! تبشّر الرجال بكل خير ولا تبشّر النساء. قال: أصحابك[1] دسسنك لهذا؟ قالت: أجل هن أمرنني. قال:(أفما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملاً من زوجها وهو عنها راض؛ أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله، فإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء وأهل الأرض ما أخفي لها من قرة أعين، فإذا وضعت؛ لم يخرج منها جرعة من لبنها، ولم يمصّ مصّة، إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة، فإن أسهرها ليلة؛ كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهن في سبيل الله، سلامة! تدري لمن أعني بهذا؟ للمتمتعات الصالحات المطيعات لأزواجهن اللواتي لا يكفرن العشير)[2].

[٣] تُهرع إلى هوى زوجها:

فالزوجة الصالحة هي التي تُهرع إلى هوى زوجها ،

(١) هكذا في الأصل، ولعله تصحيف، فربما الصحيح صاحباتك والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم ٦٧٣٣،

وهمّها الأكبر أن تتبع مواضع مراضي زوجها، فالذي يهواه هو مطلبها، والذي يرضيه هو الذي تسعى إليه، ولو كلفها نفسها أو مالها، توثره على نفسها، وتقدّمه على أهلها حتى على أبيها وأمها وإخوانها وأخواتها، ولهذا قال النبي ﷺ: (لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ)[1]. تبييناً لحقّ الزوج وما له على زوجته، أنّ هذا الحقّ أقرب لأن تسجد له المرأة، مما يدلّ على علو مكان حق الزوج على الزوجة.

ولهذا كلما سعت الزوجة لإرضاء زوجها؛ فهي صالحة، بقدر ما ترضيه. وكلما هُرعت إلى هواه كانت صالحة، ولو اجتمع الحُبّ القلبي مع الإرضاء السلوكي الظاهري لكان أجمل وأكمل في صلاحها.

انظري يا أختاه إلى الفقيهة الصدّيقة بنت الصديق حبيبة سيد الخلق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، كيف كانت تسعى لكسب رضا زوجها حبيبها المصطفى ﷺ. قالت: قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم « يا عائشة! هل عندكم شيء ». قالت: فقلت يا رسول الله! ما عندنا شيء.

(١) أخرجه أبو داود برقم ٢١٤٢.

قال: « فإنى صائم ». قالت: فخرج رسول الله ﷺ فأهديت لنا هدية: أو جاءنا زور [1] قالت: فلما رجع رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله! أُهديتْ لنا هدية أو جاءنا زور وقد خبأت لك شيئا. قال: « ما هو ». قلت: حيس. قال: « هاتيه». فجئت به فأكل، ثم قال: «قد كنت أصبحت صائما »[2].

وقد قال معاوية رضي الله عنه لصعصعة: أيّ النّساء أحبّ إليك؟ قال: المواتية لك فيما تهوى. قال: فأيّهن أبغض إليك؟ قال: أبعدهنّ لما ترضى. قال معاوية: هذا النّقد العاجل. فقال صعصعة: بالميزان العادل"[3].

[٤] القارّة في بيتها:

وقد قال الله تعالى لزوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين: **(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى)** [الأحزاب:٣٣]. ولا شكّ أنّ هذه الحالة والصفة، صفة القرار في البيت، هي الصفة الدّالة على صلاح الزوجة.

وهنا قصة من أعجب ما يكون بين الأزواج، يمنعها

(١) المراد بالزور الصدر، فربما كان صدر طير أو عصفور أو دجاج ونحوه.راجع: أساس البلاغة ج١ ص ٢٧٨، العين ج٧ ص ٣٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم ٢٧٧٠، والبيهقي في السنن الكبرى برقم ٨١٢٣.

(٣) راجع أخبار النساء لابن الجوزي، ص ٣.

زوجها من عيادة أبيها، ثم من الخروج للتعزية فيه والصلاة عليه عند موته، فيجازيها الله تعالى أحسن الجزاء ويثيبها خير مثوبة:

فعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً غزا، وامرأته في علو وأبوها في أسفل، وأمرها أن لا تخرج من بيتها، فاشتكى أبوها فأرسلت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته واستأذنته، فقالت: يا رسول الله، إن أبي مريض وزوجي يأبى أن يأذن لي أن أمرضه، فأرسل إليها النبي ﷺ أن اتقي الله، وأطيعي زوجك، ثم إن أباها مات، فاستأذنت زوجها أن تصلي عليه، فأبى زوجها أن يأذن لها في الصلاة، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تستأذنه وأخبرته، فأرسل إليها أن اتقي الله وأطيعي زوجك، فأطاعت زوجها ولم تصل على أبيها، فخرج رسول الله ﷺ فصلى على أبيها، وقال لها النبي ﷺ: (إنّ الله قد غفر لأبيك بطواعيتك لزوجك)[1].

فلتنظر كل زوجة تتطلع لأن تكون صالحة إلى آثار طاعة الزوج وثمار صلاح الزوجة، نعم هي لم تمرض أباها ولم تصلّ عليه عند موته، ولكن كان أثر ذلك وثماره أنْ

(١) مسند الحارث زوائد الهيثمي رقم ٤٩٩ وعبد بن حميد في مسنده برقم ١٣٦٩، وانظر: اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ج٤ص٢٧.

يغفر الله تعالى لأبيها بطواعيتها لزوجها. فهذا والله أعظم الكسب لها، وهو والله أفخم هدية تقدمها لأبيها بصلاحها رضي الله تعالى عنها وأرضاها في الآخرة وقد أرضاها في الدنيا.

مع أنّ الزوج ينبغي أن يكون ذا مروءة ورعاية لمشاعر زوجته، ومن حسن العِشرة للزوجة أن يراعيها في مثل هذه الظروف، ومن صلاحه أن يعاملها كما يحب أن تعامله هي به، ومع ذلك فإنْ مَنَعها ولو لمثل هذا السبب؛ تلزم بيتها ولا تخرج، طواعية لزوجها فتنال الخير وحسن العاقبة بطاعتها.

ومن روائع حِكَم الشيخ ود بدر رحمه الله وهو يرشد ويعظ النساء قوله: "المراة ثلاثة: مَرَه مَرَه، ومَرَه نُصْ مَرَه، ومَرَه ما مَرَه. المره المره، مِنْ عَتَبَةْ بَيتْهَا لِوَرَا، والمَرَه نُصْ مَرَه لجاراتها بضَرَه، والمَرَه المَا مَرَه أهل السوق يجيبُوا خَبَرَه"[1].

ففي رأيه رحمه الله أنّ المرأة التي توصف بكونها

(١) هذا الكلام باللغة السودانية الدارجة، وفصيحه أن يقال: " المرأة ثلاث: امرأة امراة، وامرأة نصف امرأة، وامرأة ليست امرأة، أما المرأة المرأة فلا تخرج من بيتها من باب بيتها أبداً، ونصف المرأة التي تخرج إلى جاراتها بتخفٍّ شديد، والتي ليست امرأة فهي التي يعرفها أهل السوق ويعرفون أخبارها".

امرأة وتحترم وتقدّر وتعظّم وتكرّم هي التي تقرّ في بيتها لا تخرج إلاّ لضرورة أو حاجة ظاهرة، رحمة اللّه تعالى عليه.

[٥] المكرمة لآل زوجها:

فالزوجة لا تكون صالحة كل الصلاح، ولا تكون مرضية لزوجها محققّة حبها له حتى يجد أهله وآله وأرحامه وأقاربه من محارمها وغيرهم حسن الضيافة منها والترحيب لهم وتكريمهم في بيته..

كيف تدَّعي الصلاح وهي تبغض أهله، ولا تقبلهم، وإذا جاؤا إلى دار ولدهم وقريبهم؛ لا يجدون إلا الضجر والتضايق والتململ من وجودهم وزيارتهم لا يجدون ترحيباً ولا راحة ولا إكراماً ولا ضيافة، فلا يأتون إلا للضرورات القصوى، فهذه زوجة غير صالحة.

ومما يُروى في مثل هذا عن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، أنه لما بلغ اسماعيل تزوج امْرَأَة من العماليق، فجَاء إبراهيم عليه السلام زَائِرًا لإسماعيل عليه السلام وإسماعيل فِي مَاشِيَته يرعاها وَيخرج متنكباً قوسه فَيَرْمِي الصَّيْد مَعَ رَعيته، وَكَانَ يرْعَى بِأَعْلَى مَكَّة السدر وَمَا والاها، فجَاء إبراهيم عليه السلام إِلَى منزله فَقَالَ: السَّلام عَلَيْكُم يَا أهل الْبَيْت. فَسَكَتَتْ فَلم ترد عَلَيْهِ، إِلا أَن

تكون ردَّتْ عَلَيْهِ فِي نَفسهَا ، فَقَالَ: هَل من منزل؟ قَالَت: لاهـا اللّه إذن، قَـالَ: كَيـفَ طَعَـامكُمْ ولبـنكم وماشـتيكم؟ فَـذكرت جهـداً ، قَالَـت: أمَّـا الطَّعَـام فَـلا طَعَام، وَأما الشَّاة فَلا تحلب الشَّاة بعد الشتَاء المضير، وَأما المَاء فعلى مَا ترى من الغلظ. قَالَ: فَأَيْنَ ربُّ الْبَيْت؟ قَالَت: فِي حَاجته، قَالَ: فَإِذا جَاءَ فاقرئيه السَّلام، وَقَوْلِي له: غَيِّر عتبَة بَيْتك. فلما جاء فأخبرته الخبر؛ قال لها: أنتِ ذلك، فاذهبي إلى أهلك، ففارقها. ثمَّ تزوَّج إسماعيل عليه السلام بنت مضاض بن عَمْرو، فجَاء ابراهيم عليه السلام زَائِرًا لاسماعيل، فجَاء إِلَى بَيت اسماعيل فَسلم عَلَيْهِ، فَقَالَ: السَّلام عَلَيْكُم يَا أهل الْبَيْت وَرَحْمَة اللّه، فَقَامَتْ إِلَيْهِ الْمَرْأَة فَردَّتْ إِلَيْهِ ورحبت بِهِ، فَقَالَ: كَيفَ عيشكم ولبنكم وماشيتكم؟ قَالَت: خير عَيْش نحمد اللّه، وَنحن فِي لبن كثير وَلحم كثير وَمَاء وبل وصيب، قَالَ: هَل من حَبٍّ؟ قَالَت: يكون إِن شَاءَ اللّه وَنحن فِي نعم. قَالَ: بَارك اللّه لكم. قَالَ: مَا طَعَامكُمْ؟ قَالَت: اللَّحْم وَاللَّبن. قَالَ: فَمَا شرابكم؟ قَالَت: اللَّبن وَالْمَاء. قَالَ: بَارك اللّه لكم فِي طَعَامكُمْ. قَالَت: انْزِلْ رَحِمك اللّه فاطعم واشرب! قَالَ: إِنِّي لا أَسْتَطِيع النُّزُول. ثمَّ قَالَ لَهَا: إِذا جَاءَ اسماعيل قولي لَهُ اثْبتْ عتبَة

بَيْتك، فَإِنَّهَا صَلاح الْمنزل"[1].

فتلك الأولى تضايقت من زيارة أبيه وكرهت أن تضيّفه وشكت بؤس حالها وأساءت إلى زوجها ساعية لافتضاحه، والأخرى رحَّبت بأبيه وأكرمته وشكرت لزوجها وأظهرته خير زوج، فلا شكّ هذه هي الصالحة لا تلك؛ فكوني أيتها الزوجة مثل هذه المرأة الفاضلة الصالحة ابنة مضاض بن عمرو رضي الله عنها التي تشكر ولا تضجر، وتقنع ولا تهلع و تأمل ولا تجزع، وترجو ولا تشكو.

[٦] الْمُحْسِنة للتبعّل:

فالزوجة الصالحة من أُوْلَى أوصافها وأهم صفاتها - كما حدّدها سيد الخلق حبيب الحقّ ﷺ في قوله الشريف الصادق لعمر رضي الله عنه: (ألا أخبرك بخير ما يكنز الرجل؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته)[2].

لم يجعل النبي ﷺ أوصاف المرأة الصالحة: التلاوة أو البعادة أو الذكر أو القيام أو الصيام!! لا، بل جعل

(١) الأحكام الشرعية للأشبيلي، ج٤ ص ٤٨، أخبار مكة للفاكهي، ج٥ ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج٤ ص ٨٣، والحاكم برقم ١٤٨٧، وبرقم ٣٢٨١. وصححه الحاكم.

علامات صلاحها التي حثّ عمر ورجال الأمة على اكتنازها: التجمل، والطاعة، والوفاء، وأولاها جميعاً: إذا نظر إليها سرته، كيفما كانت، وكيفما تفعل أو تصنْع، وهي تخبز، وهي تعدّ الطعام، وهي ترعى الأولاد، وهي تقر ي الضيوف، وهي تكرم الجيران، وهي في تنظّف، وهي تمسح، وهي مقبلة،وهي مدبرة، وهي واقفة، وهي جالسة، وهي وهي وهي... كيفما كانت: إذا نظر إليها سرَّته.

لأنها في كل حينٍ تتفقد زينتها، وتتعهد جمالها، وتعتني بلباسها، وتهندم لياقتها، وترعى نفسها لتبقى بحال مهما نظر إليها زوجها سرَّته.

ومن عجيب أمر شرعنا المتشوّف إلى استقرار الأسرة المسلمة المتحابة المتوادة؛ إنّ رسول الله ﷺ جعل حسن التبعّل نوعاً من أنواع الجهاد الإسلامي المقدّس، فروَى عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: (جهاد المرأة: حسن التبعّل لزوجها ، والتودّد نصف الدين)[1].

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم ١١٥٢، والكلاباذي في معاني الأخبار ج١ ص ١٥٩، والقضاعي في مشند الشهاب، ج١ ص ١٢٩، وانظر التمهيد لابن عبد البر ج٢١ ص ٢٠.

ومع وضوح المطلوب!! قليلٌ من النساء مَنْ تتصنّع لزوجها وتحسن التبعّل له، وتتعهّد زينتها في كل وقت وحين. بل كثيرٌ من النساء لا تتجمل إلا عند خروجها لحفلٍ أو لقاءٍ أو وظيفةٍ أو مناسبة، أما في بيتها ولزوجها؛ فقلّما تفعل ذلك، ومن تفعل ذلك من النساء كالغراب الأعصم من بين النساء قلّة ونُدرة.

يجب أن تكون كل زوجة مسلمة تتطلع لأن تكون زوجة صالحة أن تجاهد بحسن التبعّل ودوام التصنّع والتجمّل لزوجها، وليكن شعارها المصدَّق بالعمل:

عَرُوس، ولو بِنُقُشْ او بِنُعُوس[1] ..

والمعنى: أنها تبقى عروساً وبزينة زفافها فتزف بها إلى قبرها، ومهما كانت الأسباب المناقضة لذلك، وهي حالتا: تنظيف وإصلاح البيت، وحالة إعداد الطعام والخبز وما يتطلبه ذلك من عجن العجين وإصابة ذلك ثيابها مما يضرّ بزينتها.. مع كل ذلك؛ تبقى الزوجة الصالحة متجمّلة متزيّنة تتعهد جمالها وزينتها شكلاً ولُبْساً وهنداماً ولياقة وصقالاً.

وهكذا كانت محبوبة رسول الله ﷺ عائشة تتصنّع

(١) عبارة صغتها بالدارجية السودانية، دعوة للمرأة وتعبئة لها بما يرغّبها.

وتحسن التبعل لزوجها رسول الله ﷺ، فلتتفقد كل امراة مسلمة حالها، وكيف أنها كانت لا تغفل عن التجمل والتزيّن لبعلها الحبيب والتصنّع له بكل جميل، ففي المستدرك للحاكم أن عَائِشَةَ رضي الله عنها دَعَتْ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! مَا هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي تَبْلُغُنَا أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، هَلْ سَمِعْتَ إِلاَّ مَا سَمِعْنَا؟ وَهَلْ رَأَيْتَ إِلاَّ مَا رَأَيْنَا؟ فقَالَ أبو هريرة رضي الله عنه: " يَا أُمَّاهُ، إِنَّهُ كَانَ يَشْغَلُكِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْمَرْآةُ وَالْمُكْحُلَةُ، وَالتَّصَنُّعُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا كَانَ يَشْغَلُنِي عَنْهُ شَيْءٌ"[1].

وهكذا فكوني، لا تتوقفي عن التجمل وحسن التبعّل والتصنّع للزوج بكل الطرق.

ومن جميل ما حكي في ذلك: ما حكاه الأصمعي رحمه الله قال: "رأيت في البادية امرأةً عليها قميصٌ أحمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت: ما أبعد هذا من هذا!! فقالت:

ولله مني جانب لا أضيعه

وللهو مني والبطالة جانب

(١) أخرجه الحاكم، برقم٦١٦٠، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

قال: "فعلمتُ أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له"[1].

ولذلك يقول الإمام الغزالي رحمه الله:"ومن آداب المرأة ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها" [2].

[٧] اللَّعـوب العَـروب:

فالزوجة الصالحة ليست هي تلك التي تمسك بسبحتها كل يومها تذكر وتسبح وتهلل وتكبر، وليست هي تلك التي تصلي وتتلو ليلها ونهارها، وليست هي تلك التي تقوم الليل كله وتصوم النهار عابدة ربها، بل هي تلك التي - مع ذلك - تجعل حياة زوجها بهجة وسروراً، هي تلك التي تدخل الفرح والابتهاج في كل أيامه، هي تلك التي تغلب على أمرها اللعب والضحك والمزاح، حتى ترى زوجها متعجلاً في كل حين أن يعود إلى بيته، يتعلّق بها، ولا يجد راحة حتى يرجع فيلقاها، ولا يستريح أبداً وهو بعيد عنها حتى لو كان في عمله يتعجل العودة إلى عشّه البهيج، والرجوع إلى بيته السعيد، ليلقى من البهجة والفرح والارتياح والسرور الذي ينتظره عندها، فيسعد معها كل السعادة ويستريح

(١) إحياء علوم الدين،للإمام الغزالي، ج٢ ص ٥٩.

(٢) الإحياء نفس الموضع.

في صحبتها، ويبتهج بها..

هذه هي الزوجة الصالحة: اللعوب العروب!!..

أما اللعوب فقد أوصى رسول الرحمة ﷺ صاحبه الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه حين تزوّج فأخبر خليله الحبيب ﷺ قال رضي الله عنه: "قال لي رسول الله ﷺ: (هل نكحت يا جابر)؟. قلت نعم . قال: (ماذا أبكراً أم ثيّباً) . قلت: لا بل ثيباً. قال: (فهلا جارية تلاعبك) [1]. وفي رواية لأحمد في مسنده قال له: (ألا تزوجتها بكراً تلاعبك وتلاعبها وتضاحكك وتضاحكها)[2].

وأما العَرُوب فهي مفردة العُرُب من قوله تعالى(**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا. عُرُبًا أَتْرَابًا. لأَصْحَابِ الْيَمِينِ**) [الواقعة:٣٥ ـ ٣٨]. والعُرُب جمع عَروب، وهي المتحببة إلى زوجها بإظهار محبته وحسن كلامها، كما قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم من أهل التفسير رحمهم الله تعالى، وهي الملقة الغنجة كما قال عكرمة رحمه الله، وهي االعاشقة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم ٣٨٢٦، والنسائي برقم ٥٣٢٧، ٥٣٢٨، وأبو عوانة في مستخرجه، برقم ٤٢٤٢،

(٢) أحمد في المسند برقم ١٥٠٥٥. وصححه شعيب الأرناؤوط على شرط مسلم.

لزوجها لأن عشقها له يزيده ميلاً إليها وشغفاً بها، وهي الحسنة التبعّل لتكون ألذّ استمتاعاً، كما ذكر النيسابوري في تفسيره[1].

فالزوجة الصالحة كما أنها تكون لعوباً؛ تكون عروباً، تمارس أحوال العشق مع زوجها الحبيب، تتغنّج في حركاتها وتتكسر في مشياتها، وتحسن التبعّل له، وتتحبب له بكل سبيل، وتمكّنه من أسباب الاستمتاع بها، وتتملّق له بحلو الكلام وحسن العبارة وما يدخل السرور في نفسه، تتملّقه ولو لم تعتقد ما تقوله،وفي خبر أبي غرزة ﷺ أنه سمع مقالات الناس أن زوجته لا تحبه، فأخذ بيد ابن الأرقم ﷺ، فأدخله على امرأته، فقال: أتبغضيني؟ قالت: نعم. قال له ابن الأرقم: ما حملك على ما فعلت؟ قال: كثرت عليَّ مقالة الناس، فأتى ابن الأرقم عمر بن الخطاب ﷺ؛ فأخبره، فأرسل إلى أبي غرزة، فقال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: كثرت عليَّ مقالة الناس. فأرسل إلى امرأته، فجاءت ومعها عمة منكرة، فقالت:إن سألك فقولي: استحلفني، فكرهت أن أكذب، فقال لها

(١) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) ج٦ ص ٢٨٤، وتفسير البغوي ج٨ ص ١٥، تفسير النيسابوري ج٧ ص ١٠٩.

عمر: ما حملك على ما قلت: قالت: إنه استحلفني؛ فكرهت أن أكذب. فقال عمر ﷺ:"بلى، فلتكذب إحداكن ولتجمل، فليس كل البيوت تبنى على الحب، ولكن معاشرة على الأحساب والإسلام"[1].

فلا شك أنّ هذه الأحوال إذا صارت الزوجة لعوباً عروباً؛ ستجعل الحياة الزوجية متعة دائمة، وبهجة دائمة، وسعادة دائمة، ثم من بعد ذلك بكرم الكريم المنان سعادة أبدية في جنات النعيم بفضله تعالى وكرمه.

[٨] الدَّلول في رضاه، الذَّلول في غضبه:

المرأة الصالحة مع زوجها تعيش حياتها بكل أبعادها وآمادها، بجمالها وروعتها ومطلوباتها، تعيش حياتها معه بالطول والعرض ـ كما يقولون ـ، تقيم فيها نفسها كما تحبّ، فتشعر بسيادتها في بيتها وأسرتها وفي قلب زوجها، وتعبّر عن سعادتها بفعالها بل بدلالها عليه، تطلب فيستجاب لها، وترجو فيُبَادر لرجاها، وتأمر فيُمتَثل لأمرها، وإنْ لم يكن الزوج هكذا كان منقّصاً منغِّصاً ما كان راضياً مستريحاً.

فلو تضايقت نفسه، أو تعكّر مزاجه، أو لاحظت

(١) كنز العمال برقم ٤٥٨٥٩ ج١٦ ص ٥٥٥، وعزاه إلى ابن جرير.

عليه تغيّراً لأمر تعرفه أو تجهله؛ تبدّلتْ فانقلبت من زوجة دلول إلى أم حنون، وأخت شفوق، وبنت عطوف، فتهمّ بهمه، وتتضايق معه، وتسعى لتخفيف وطأة ذلك عليه بكل سبيل.

أما إذا كانت سبب غضبه وتعكير مزاجه وتكدير باله؛ فتلبس لبوس الذلة له حتى يرضى، فالزوجة لا تكون صالحة حتى تكون ذليلة مع زوجها، باللّه إنْ كان ربنا تبارك وتعالى أخبر أنّ أحبّ المؤمنين إليه الأذلة عليهم في قوله تعالى (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)** [المائدة:٥٤].

فإن كان محبوباً للّه تعالى الذلّة للمؤمنين عموماً فكيف بالمؤمنين الأزواج الذين اجتمعت قلوبهم على المحبة الخاصة، وأسسوا بيتاً واحداً وأسرة واحدة، ثم صار كل منهما أقرب الناس إلى الآخر، فالزوجة هي أم أولاده، والزوج هو أب أولادها، فمن أقرب منهما لهما؟. فذلّة الزوج على الزوجة وذلة الزوجة على الزوج أحبّ إلى اللّه بلا ريب.

وفي خبر النبي ﷺ يرويه الطوسي مرفوعاً: (إنَّ خير نسائكم الودود الولود، العزيزة في أهلها، الذليلة مع

بعلها، المتبرجة مع زوجها، الحصان عن غيره، التي تسمع قوله وتطيع أمره، وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها، ولم تتبذل له تبذل الرجل)[1].

فالزوجة الصالحة هي التي تجمع بين التدلل والتذلل، فهي دلول في رضاه ذلول في غضبه.

وفي أوصافها قالت العرب وقال أخيار الناس[2]:

۞ قال علي بن أبي طالب ﷺ: " خَيرُ نِسائكم العَفيفة في فَرْجها الغَلِمة لزوجها ".

۞ وقال أبو الدرداء ﷺ: "خيرُ نسائكم التي تَدْخل قَيْساً وتَخْرُج مَيْساً وتملأ بيتها أقِطاً وحَيْساً وشرُّ نسائكم السَّلْقَعَة التي تسمع لأضراسها قَعْقَعَة ولا تزال جارتها مُفَزَّعة".

يُريد أنها إذا مَشَت قاسَت بعض خُطاها ببعض فلم تَعْجَل فِعْلَ الخَرْقاء ولم تُبْطِىء ولكنها تَمْشي مَشْياً وَسَطاً مُعْتدلاً فكأنّ خُطاها مُتساوية وكما قال الأعشى :

كأنَّ مِشْيتَها من بيت جَارتها

(١) الكافي بتحقيق المجلسي ج١٢ ص ١١٦، عن جابر رضي الله عنه.

(٢) راجعها في: غريب الحديث لابن قتيبة، ج١ ص٥٢٢ـ٥٢٣، ج٢ص٢٧٢ـ ٢٧٤، الفائق في غريب الحديث، ج٣ ص٣٧٢، النهاية في غريب الأثر، ج٤ ص ٢٢٢، ج٤ ص ٧٣٣.

مَرّ السَّحَابة لا رَيْث ولا عَجلُ

وليست كما قيل:

مَشَت مِشْيَة الخرقاء مال خِمارُها

وشمَّر عنها ذَيْل دِرْع وَمِنْطِقِ

❁ وقال الزِّبْرقان بن بَدْر: "أحَبُّ كنائني إليَّ الذَليلة في نَفْسها، العزيزة في رَهْطها، البَرْزة الحييَّة، التي في بَطْنها غلام ويتبعها غلام. وأبغض كنائني إليَّ الطُّلَعَة الخُبَأة التي تمشي الدّفِقَّي، الذليلة في رَهْطها". ويوافقف بقوله : " التي في بطنها غلام ويتبعها غلام" حديث رسول الله ﷺ: (تزوجوا الودود الولود)[1].

❁ وقيل: "خير النساء المُبتذلة لزوجها الخَفِرة في قومها".

وهو معنى قول الفرزدق:

يأْنسْنَ عند بُعُولهنَّ إذا خَلَوا

وإذا هُم خَرَجوا فهُنَّ خِفارُ

❁ وقيل:"خير نسائكم العَطِرةُ المَطِرَةُ".أي المتنظفة المتعطرة. ومنه قول عامر بن الظرب لامرأته:"مري ابنتك ألا

(١) أخرجه أبو داود برقم ٢٠٥٢، وأحمد في المسند برقم ١٢٦٣٤، وابن حبان برقم ٤٠٢٨، وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط.

تنزل مفازة إلا ومعها ماء فإنه للأعلى جلاء وللأسفل نقاء".

❁ وقيل: "خير نسائكم التي تريد صلاح بيتها ولا تَخْرُق في مهْنَتها".

لكنها إذا غضب! لا تحتمل غضبه، ولو لم تكن هي السبب، بل تسعى بكل حيلة لترضيه وتعيده إلى حال الرضا والانشراح، فيا لها من زوجة حبيبة تنقبض هي لينبسط زوجها، وتتذلل هي ليعزّ زوجها، وتهين نفسها له ليرضا، وكأنها تقرر في نفسها ـ وقد صدقتْ ـ وهل بين الأزواج ذلة وعزّة؟ أم بين الأزواج كرامة وهوان وقد أفضى بعضهم إلى بعض؟. فكرامة الزوجة في التقلّل لزوجها، وعزة الزوجة في التذلل لزوجها.

فهذه والله خير زوجة!!.. هي والله من نساء الجنة، لا يغمض لها جفنٌ وزوجها معكّر المزاج، ولا تذوق طعماً لنوم أو راحة أو أكل أو شرب وزوجها مكّدر البال، فهذه هي التي أخبر عنها النبي ﷺ أنها تساق إلى الجنة مكرمة معزّزة في مقدّمة الوافدين إلى الله، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما يقول النبي ﷺ: (أَلا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ الْوَدُودُ، الْوَلُودُ، الْعَؤُودُ عَلَى زَوْجِهَا، الَّتِي إِذَا آذَتْ أَوْ أُوذِيَتْ، جَاءَتْ حَتَّى تَأْخُذَ بَيد زَوْجِهَا، ثُمَّ تَقُولُ:

وَاللَّهِ لا أَذُوقُ غُمْضًا حَتَّى تَرْضَى)[1].

ثمّ إنها تعلم أنّ سوء عاقبتها وشر مآلها وهلاكها في سخط زوجها عليها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ النبي ﷺ قال: (ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أمّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان)[2].

وفي الطبراني وغيره مرفوعاً: (ما من امرأة يطلب زوجها منها حاجة فتأبى فيبيت وهو عليها غضبان إلا باتت تلعنها الملائكة حتى يصبح)[3]. وفي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها باتت تلعنها الملائكة)[4]. وفي شعب الإيمان روت عائشة رضي الله عنها: (لو أن امرأة أطاعت ربها و

(١) أخرجه النسائي في عشرة النساء برقم ٧٨٩٧، والطبراني برقم ١٥٦٣٧، وصححه الألباني في الصحيحة ٢٨٧.وفي صحيح الجامع ٢٦٠٤.

(٢) أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار، برقم ١٦١٦، والطبراني في المعجم الكبير برقم ١٢٢٧٥، وابن ماجة برقم ٩٧١. واللفظ له وفي الزوائد :إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) الطبراني في المعجم في الأوسط، برقم ٧٥٧٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٤٣/٤): ورجاله ثقات.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده برقم ٧٤٦٥، وصححه شعيب الأرناؤوط على شرط الشيخين.

حفظت فرجها ثم آذت زوجها بكلمة باتت والملائكة تلعنها)[1].

ولأنها علمت أنّ نجاتها في رضاه، ففي موطأ الإمام مالك رحمه الله: جاءت عَمَّةُ حصين بن محصن رضي الله عنهم إلى رسول الله ﷺ، فقال لها: (أذاتُ زوج أنت؟ قالت: نعم. قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آلوه إلاَّ ما عجزت عنه. فقال لها ﷺ: (فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك أو نارك) [2].

[٩] الوفيَّة لزوجها:

لا يمكن أن تكون الزوجة صالحة وهي غير وفيّة لزوجها، مهما تغيّر الحال من خير إلى سوء، أو من غنىً إلى فقر، أو سعة إلى ضيق، أو سرور إلى بؤس. فالزوجة الصالحة لا تنسى العِشرة أبداً ولا تنسى ما كان بينها وبينه من أحوال الصفاء والوداد، وأوقات المحبة والاشتياق، يطرق أذنيها دائماً في لطف ونغم عباراتُ شكره وكلماتُ حبه، ويخفق قلبها كثيراً لتذكّر لمساته الحانية، وتدفأُ

(١) البيهقي في شعب الإيمان برقم ٧٧٧٢.

(٢) موطأ الإمام مالك، برواية محمد بن الحسن الشيباني، برقم ٩٥١. وعشرة النساء للنسائي ج١ ص ١١٦.

كثيراً بأنفاسه المليئة عطفاً وحناناً حين كان يقترب، ولذلك لا تكترث لتغير الزمان أو لحدثان الدهر أو تبدل الحال، بل تبقى وفيةً له ولعشرته، ولا تبادر أبداً لفراق أو طلاق.

وإليكِ الموقف الرائع الجميل لوفاء الزوجة واستمساكها بعروة زوجها ومحبته، في قصة الأعرابية الوفية سُعدى رحمها الله تعالى، فقد روي أنها رغب فيها مروان بن الحكم والي المدينة رحمه الله فطلب من زوجها فراقها وطلاقها، حين ساءت أحواله، وفَقَر بعد غنىً، وعَدِم بعد وفرة. فشكاه زوجُها إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

فقال له معاوية ممازحاً ﷺ: " إذَنْ نخيِّرها بيننا؟!".

فقال الأعرابي: ذلك لك يا أمير المؤمنين.

فأرسل إليها معاوية فحضرت، فقال لها معاوية: "يا سعدى! أيّنا أحب إليك؟: أمير المؤمنين في عزِّه وشرفه وقصوره!، أم مروان بن الحكم في غصبه واعتدائه، أم هذا الأعرابي في جوعه وأطماره (أي: ثيابه البالية)؟!.

فأشارت إلى زوجها وأنشدت:

هذا وإنْ كان في جوعٍ وأطمار

أعزُّ عنديَ من أهلي ومن جاري

وصاحبِ التاج أو مروان عاملِهِ

وكل ذي درهم منهم ودينـــار

ثم قالت:"لست والله يا أمير المؤمنين لحدثان الدهر بخاذلته، ولقد كانت لي معه عيشة راضية، وأنا أحق من يصبر معه على الضراء والسراء، وعلى الشدة والرخاء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القسم الذي كتب الله لي معه".

فأُعجب معاوية رضي الله عنه ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءَتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم، وألحقها في صدقات بيت المسلمين[1].

ومن جميل ما قيل في الزوجة الصالحة[2]:

خيرُ ما للمرء يُعطَى زوجةٌ فيها الصلاح

تحفظ الوُدَّ ويُلقى منها بِشْرٌ وانشراح

تملأ القلب سروراً تمنح النفسَ ارتياح

ثغرها يَبْسُمُ دوماً بلسمٌ يشفي الجراح

تحفظ العِشرة عهداً ذاك سِرٌّ لا يباح

(١) راجع القصة بكاملها في أخبار النساء لابن الجوزي، ص ٤- ٦.

(٢) من شعر عطا سليمان رمولي.

ثوب طهر وعفاف جعلتْ منه وشاح
إنها بالحبِّ تُهدي بيتَها كلَّ النجاح
ينهل الأبناءُ منها كلَّ أسبابِ الفلاح
هي للتقوى معينٌ هي للفوضى سلاح
هبةٌ رب هداها تاج دنيانا الملاح

ꕥ ꕥ ꕥ

أوصافٌ مهمةٌ للزوجة الصالحة:

صغتُ جملةً منها رجاءَ أنْ تكون نبراساً لكل من تريد أن تكون زوجةً صالحةً من نسائنا، فاقرئيها يا أختاه بتمعّن ورغبةٍ في أن تكونيها، فالزوجة الصالحة ينبغي أن تكون:

- وفية، وطيَّة، صفيّة، نقيّة، تقيّة، رضيّة، نديّة، أبيّة، هنيّة، وضيئة سنيّة..
- في خلقها طاهرة، لأياديه شاكرة، بالخير عنه ذاكرة، به في الكلّ مفاخرة..
- صادقة عفيفة، عن غيره كفيفة، ترى سواه جيفة، ومعه لطيفة، جميلة نظيفة..
- لعوبة دعوبة، لِبَالِهِ نهوبة، ولِلُبِّهِ ذهوبة، ولعقله غصوبة، ولسعده رغوبة، محبوبة مهوبة..

۞ في نفسها عظيمة، في بيتها رحيمة، مع أهله كريمة، مشاعر حميمة، لزوجها بالودِّ والحبِّ سحائب ودِيمة..

ꕥ ꕥ ꕥ

الزوجة السوء:

وهناك صفاتٌ وأحوال مضيِّعة لصلاح الزوجة، معكِّرة على السعادة الزوجية، : ولا أزيد في بيان ذلك عن نقل ما رُوي وحُكي عن الحكماء فيما لا يُتَزوّج من النساء حتى لا تعكّر على الرجل حياته وتنكّد له عمره وتضيّع عليه سعادته التي طلبها بزواجه منها، وإليكم بعضها:

[١] أوصى بعض العرب بنيه فقال: لا تنكحوا من النساء ستة: "أنّانة.. ولا منّانة، ولا حنّانة ولا حدّاقة، ولا برّاقة، ولا شدّاقة".

والأنَّانة: هي كثيرة الأنين التي تعصب رأسها تشكو المرض.

والمنَّانة: التي تمنّ على زوجها.

والحنَّانة: التي لها أبناء من زوج آخر فتحن لهم.

والحدَّاقة: التي ما حدقت شيئاً إلاَّ رغبت في شرائه.

والبرَّاقة: التي تبالغ في صقل وجهها.

والشدَّاقة: التي تتشدق بكثرة الكلام.

[٢] ويحكى أنَّ رجلاً أزدياً كان سائحاً في الأرض فلقي حكيماً، فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل، وقال له: "ولا تنكح من النساء أربعاً،وانكح ماسواهن؛ المختلعة، والمبارية، والعاهر، والناشر".

[٣] ويروى أنَّ عليّاً ﷺ كان يقول: "شرار خصال الرجال خيار خصال النساء: البخل، والزهو، والجبن".

وذلك أنَّ المرأة إذا كانت بخيلة حفظت لك مالك، وإن كانت مزهوة معجبة بنفسها استنكفت أن تكلم الرجال، وإن كانت جبانة فَرَقَتْ من كل شيء فقرّت في بيتها.

[٤] وقال شيخ من بني سُليم لابنه: "يا بني إياك والرقوب، الغضوب، القطوب"[١].

أما القطوب؛ فهي التي لا تنظر إليها إلا وتجدها عابسة مكفهرة، كأنها لبوة أُخذ منها أولادها، أو هرة أحاطت بها الهرر. فما أثقلها على القلب، وما أعكرها للمزاج، وما أضيعها للابتهاج..

وأما الغضوب؛ فهي تلك التي لا تفوّت لزوجها هفوة،

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص ١٩٦.

ولا تصفح عن شيء صغير أو كبير إلا وتُسارع بالمؤاخذة عتاباً ولوماً ومراجعة و ترديداً لما وقع وتأويلاً لما كان بأسوأ تفسير وأشنع تعبير، لا تسلم منها أبداً، غضبٌ تذيبه فتهيج غضباً، فلا تروق منه وإلا هاجت وماجت، فما أحلك هذه الحياة اهتياج وتعكّر مزاج وغياب ابتهاج وتلاطم وتصادم واضطراب واحتراب، فما أنكد هيه الحياة وأشقاها معها..

وأما الرقوب؛ فهي تلك المرأة السوء التي تراقب موت زوجها لتأخذ ماله أو تؤول إلى محبوب، أو غير ذلك من الأفكار البشعة التي تحشو بعض النساء النكدات السيئات غير الصالحات عقولهن ويُقمن عليها آمالهن.

مثل هذه الزوجة السوء، سيراقب هو موتها لسوء عشرتها، وقد قال بعض سيئ الحظ المورطين مع أمثالهن:

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي
ولكن قرين السوء باق معمَّرُ
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً
وعذَّبها فيه نَكيرٌ ومُنكَــرُ

[٥] ومن أحوال الزوجة السوء، ما حكي عن أبي الأسود الدؤلي رحمه الله وامرأته، وكانت برزة جميلة

فقالت له: يا أبا الأسود هل لك في أن أتزوجك؟ فإني صناع الكف حسنة التدبير قانعة بالميسور؟ قال: نعم، فجمعت أهلها فتزوجته، فوجد عندها خلاف ما قدره، وأسرعت في ماله، ومدت يدها إلى خيانته، وأفشت سره، فَغَدَا على من كان حضر تزويجه إياها فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا فقال لهم:

أريت أمراً كنت لم أَبْلُهُ أتاني فقال اتّخِذْني خليلا
فخاللُته ثم أكرمتــه فلم أستفد من لدنْه فتيلا
وألفيتُه حين جرّبتــه كَذُوبَ الحديث سروقا بخيلا
فذكَّرته ثم عاتبتُــه عتاباً رفيقاً وقولاً جميلا
فألفيتُه غيرَ مستعتِبٍ ولا ذاكرِ اللّهِ إلا قليلا
ألستُ حقيقا بتوديعه وإتْباع ذلك صَرماً طويلا

فقالوا: بلى والله يا أبا الأسود. قال: تلك صاحبتكم وقد طلقتها لكم وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها. فانصرفت معهم.

فجاءت إلى أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه فقالت: "ألجإني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق به عني المخرج من أمر كرهت إعادته لما أردت إظهاره فليكشف عني أمير المؤمنين الهمّ ولينصفني من الخصم، ليكن ذلك على

يديه، وإني أعوذ بعقوتك من العار الوبيل والأمر الجليل الذي يشتد على الحرائر ذوات البعول الأخيار". فقال لها معاوية: "من هذا الذي يشعرك شناره؟ قالت: أمر طلاق جاءني من بعل غادر لا تأخذه من الله مخافة ولا يجدي حذافه، قال: ومن بعلك؟ قالت: هو أبو الأسود الدؤلي. فالتفت معاوية إليه وكان كثيراً ما يجالس معاوية وقال: أحقاً ما تقول هذه المرأة؟ قال: إنها لتقول من الحق بعضاً، وليس يطيق أحد عليها نقضاً أما ما ذكرت من أمر طلاقها فهو حق وسأخبرك، أما والله ما طلقتها لريبة ظهرت، ولا لهفوة خطرت، ولكني كرهت شمائلها فقطعت حبائلها. قال: وأي شمائلها كرهت؟ قال: إنك مهيجها عليّ بجواب عتيد ولسان شديد. قال: لابدّ لك من مجاوبتها فاردد عليها قولها عند محاورتها. قال: "هي يا أمير المؤمنين كثيرة الصخب دائمة الذرب مهينة للأهل مؤذية للبعل إن ذكر خيراً دفنته وإن ذكر شراً أذاعته، تخبر بالباطل، وتطير مع الهازل، لا تنكل عن عتب، ولا يزال زوجها معها في تعب"[1].

(١) راجع: الأغاني ج١٢ ص ٣٦١، وأخبار الواقدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان ج١ ص ٢٥، للعباس الضبي، تحقيق سينة الشهابي

وأخيـراً:

نذيِّل هذه الرسالة الوجيزة بوصايا صادقة للزوجة الصالحة كيف تكون؟ تلافياً لتلك الأحوال والأوصاف الخاصة بالزوجة السوء التي عكّرنا بها صفحات هذه الرسالة، وسأنقل فقط وصيتين قديمتين، إحداها من أب لابنته في زفافها، والأخرى من أم لابنتها ليلة زفافها، وجميلٌ أن نقتدي بهما في تربيتنا لبناتنا حتى يكُنَّ زوجات صالحات تقر أعيننا بحالهن وأعين أزواجهن:

الوصية الأُوْلَى: وصيةُ أسماء بن خارجة الفزاري لابنته:

أوصى أسماء بن خارجة الفزاري، وكان من حكماء العرب، ابنته ليلة زفافها فقال: "يا بنية! قد كانت أمك أحقَّ بتأديبك مني لو كانت باقية، وأما الآن فإني أحق بتأديبك من غيري. فافهمي عني ما أقول: "إنك قد خرجت من العش الذي فيه درجت، وصرت إلى فراش لا تعرفينه وقرين لم تألفيه:

- ◈ كوني له أرضاً يكون لك سماء.
- ◈ وكوني له مهاداً يكون لك عماداً.
- ◈ وكوني له أَمَةً يكون لك عبداً.

مؤسسة الرسالة ط١ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

◈ لا تلحفي به فيقلاك. ولا تتباعدي عنه فينساك.

◈ إذا دنا فاقربي منه، وإن نأى فابعدي عنه

◈ واحفظي أنفه وسمعه وعينه. فلا يشم منك إلاَّ طيباً، ولا يسمع إلاَّ حسناً، ولا ينظر إلاَّ جميلاً.

وأنا الذي قلت لأمك ليلة بنائي بها:

خذي العفو مني تستديمي مودتي

ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك الدفّ مرة

فإنك لا تدرين ماذا المغيّب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى

إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

الوصية الثانية: وصية أمامة بنت الحارث التغلبية:

تزوج الحارث بن عمرو ملك كندة ابنتها أم إياس بنت عوف. فقالت الأم لابنتها في ليلة زفافها:"أي بنيّة! إنك فارقتِ بيتكِ الذي منه خرجتِ، ووكركِ الذي فيه نشأتِ إلى وكر لم تألفيه، وقرينٍ لم تعرفيه، فكوني له أَمَةً يكون لكِ عبداً، واحفظي له عشر خصالٍ يكون لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالصحبة له بالقناعة ، والمعاشرة

بحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة: فالتعهد لموقع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشمنَّ إلاَّ أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن الموصوف، والماء والصابون أطيب الطيب المعروف.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه؛ فإنَّ حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مكربة.

وأما السابعة والثامنة: فالعناية ببيته وماله، والرعاية لنفسه وعياله.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً. فإنك إن عصيت أمره؛ أوغرت صدره، وإن أفشيت سرّه؛ لم تأمني غدره. ثم بعد ذلك. إياك والفرح حين اكتئابه والاكتئاب حين فرحه؛ فإنَّ الأولى من التقصير، والثانية من التكدير. وأشد ما تكونين له إعظاماً؛ أشد ما يكون لك إكراماً. ولن تصلي إلى ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاكِ، وهواه على هواك، فيما أحببت أو كرهتِ، واللّه يصنع لك الخير، واستودعتك اللّه".

وختامـاً:

اللّه ربي جلّ وعلا أسأله أن يجعل نساءنا وبناتنا صالحات، وأن يجمع بيننا جميعاً في جنات النعيم والفراديس العلا في جواره الكريم، وأن يحقق لنا قوله تعالى: (**هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ**) [يس: ٥٦] ، وأن ينادَىَ فينا جميعاً: (**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ**) [الزخرف: ٧٠] .

اللهم اجعلنا وأهلنا صالحين، وارزق كل زوجين سعادة الحياة الزوجية، وصلاح الذرية، اللهم أَسْعِد الأزواج بنسائهم، وأَسْعِد النساء بأزواجهن، اللهم أَسعِدْ الآباء والأمهات بأولادهم، وأَسْعِد الأولاد بآبائهم وأمهاتهم.

اللهم تقبل رسالتنا هذه وانفعني وزوجاتي وبناتي بها، وانفع المسلمين بما فيها، واجعل اللهم كل عملنا صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً، وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

◈ ◈ ◈

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
مداخلُ ذاتُ بهجة	٩
من هي الزوجة الصالحة :	١٢
مقام الزوجة الصالحة في القرآن :	١٥
مقامها عند رسول الله ﷺ :	١٦
مقامها عند العلماء	١٨
من أوصاف الزوجة الصالحة	٢٠
[١] القَنُوع لا الهَلُوع	٢٠
[٢] الشاكرة لصنائعه المعترفة بجمائله	٢٣
[٣] تُهرع إلى هوى زوجها	٢٧
[٤] القارّة في بيتها	٢٩
[٥] المكرمة لآل زوجها	٣١
[٦] الْمُحْسِنة للتبعّل	٣٣
[٧] اللَّعوب العَروب	٣٧
[٨] الدَّلول في رضاه، الذَّلول في غضبه	٤٠

[٩] الوفيَّة لزوجـها.....٤٦
أوصافٌ مهمةٌ للزوجة الصالحة.....٤٩
الزوجـة الســوء: ٥٠
الوصية الأُوْلى: وصيةُ أسماء الفزاري لابنته..... ٥٥
الوصية الثانية: وصية أمامة التغلبية لابنتها.....٥٦
خاتمة ٥٧
فهرس الموضوعات ٥٩